الكتب

أبو بكر الصديق

تأليف الأستاذ على الطنطاوى

نشرته المكتبة العربية بدمشق فى ٣٦٠ صفحة من القطع المتوسط

الأستاذ على الطنطاوى ، أو الشيخ على الطنطاوى كما يحب أن يُدْعى ، ثمرة ناضجة من ثمار الثقافة العربية الحديثة : ثقف علوم الدين وعلوم اللسان ثقافة محيطة ، ثم درس القانون دراسة فقهية عميقة ، وشارك فى إيقاظ النهضة الفكرية والدينية والاجتماعية فى سورية مشاركة منتجة ؛ فله فى قيادة الشباب محل ، وفى توجيه الآداب طريقة ، وفى سياسة الأصلاح مذهب ؛ وهو ونفر من صحابته يمثلون فى سورية الناهضة الحلقة الواصلة بين عقلية تنكر القديم ، وعقلية تنكر التجدد . وليس الأستاذ الطنطاوى مجهولاً لدى قراء الرسالة ، فهو يطالعهم الحين بعد الحين بالفصول الممتعة فى الأدب والتاريخ والقصص ، ينقلها عن فكر خصب ، واطلاع واسع ، ومنطق سليم ، وإيمان صادق ، وعاطفة نبيلة

رغب اليه أصحاب المكتبة العربية بدمشق أن يكتب تاريخ الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فتوفر على قراءة مائة كتاب فى موضوعه بين مطبوع ومخطوط أثبت أسماءها فى ثبت المصادر ، ثم جمع منها أخبار هذا البطل العربى ، وعارض بعض هذه الأخبار ببعض ، ثم جمع ما صح عنده من الروايات الكثيرة وجعلها كالحديث الواحد منتهياً إلى مصدر كل رواية ودرجة كل حديث . وتلك هى الطريقة السلفية التى تعتمد على الحشد والرواية ، أكثر مما تعتمد على التحليل والرأى ، فهى تعطيك أسباباً من غير حكم ، ومادة من غير صورة ، وقد ركب الأستاذ هذه الطريقة الوعرة على قصد وعلم ، فهو يقول : « وكان علىّ أن أسلك فى هذا الكتاب سبيل الدراسة التحليلية فأصف الحياة العقلية والاجتماعية والسياسية للعصر الذى عاش فيه أبو بكر رضى الله عنه والبيئة التى نشأ فيها ، وما كان لذلك من الأثر فيه ، وأدرس أخلاقه وسجاياه ، وأبحث العوامل التى عملت فى تكوينها ، وأبين أثر الاسلام فيها ، وأثرها فى التاريخ الاسلامى ، وما إلى ذلك من عناصر الدراسة التحليلية . ولكن « المكتبة العربية » ترى أن هذا الأسلوب لا يمثل إلا رأى صاحبه ، وأن الرأى قد يخطئ الحقيقة وقد يصيبها ، وهى لا تحب أن تخرج للناس (درساً) فيه الخطأ وفيه الصواب ، بل تاريخاً صحيح السند مضبوط الرواية . . . . . .

« وقد كرهت بادى الرأى هذا الأسلوب . . . فكيف أجوز أصعب الشقتين ، فأجمع المواد وألخصها وأنقحها وأسبكها وأؤلف بينها ، ثم أثبتها فى الكتاب كما هى فيأتى « آخر . . . » فيأخذها هينة لينة ، فينشئ منها كتاباً تحليلياً تكون فاتحته انتقاصى وذمى بأنى لم أنشئ منها كتاباً تحليلياً . . .

« ثم بدا لى فقلت لا بأس ، فانه مهما يكن للأسلوب التحليلى من المزايا ، ومهما يكن للأسلوب العربى من العيوب (عند بعضهم) فان الصحة ليست فى غير الأسلوب العربى ، وليس لأمة من الأمم ما للأمة العربية من الضبط فى الرواية والتحقيق فيها والتثبت منها ؛ ولا يدرى أكثر من نعرف من الشبان من أمر هذه الرواية شيئا ، بل انهم ليجهلونها مرة واحدة ، وينبزونها حماقة وجهلاً (بالكتب الصفراء) لما وضعوا فى نفوسهم من أن الخير لا يكون خيراً لذاته ، ولكن للطابع الغربى الذى يشترط أن يكون عليه . . . وأن الشر لا يكون شراً لذاته ، ولكن للسمة الشرقية التى يتسم بها . . . وذكرت أن اتباع الأسلوب العربى — على ما سينالنا من لوم على اتباعه — خير لشبابنا (وهم جمهرة القراء) وأجدى عليهم ، وانه فى طوق كثير من الشبان أن يكتبوا التاريخ التحليلى لأبى بكر إذا وجدوا الصحيح من أخباره مجموعاً فى كتاب

واحد ، ولكنه يعجز الكثير منهم أن يجمعوا هذه الروايات ويفحصوها ويرتبوها . . . »[1]

ولا ريب أن الأستاذ قد بلغ أقصى ما أراد فى الجهة التى اختارها أو اختارها له الناشر ، فقد استوعب كتابه كل ما اتصل بحياة الخليفة العظيم من الآيات والأحاديث والأخبار فى سياق مطرد وترتيب محكم وأسلوب جذاب . ولكن من يقرأ تصدير الكتاب[2] ويقف على أسلوب الكاتب فى حسن التعليل ، وصدق الوصف ، وبراعة العرض ، يتمنى لو أن الأستاذ كان قد وفق بين الطريقتين ، فيجمع بين المزيتين ، ويسلم من نقد القارئ المتعقب ، واستغلال الكاتب الجحود

الشاطئ المجهول

نظم الشاعر سيد قطب

للأستاذ محمود الخفيف

فى ذهنى ، عن شعراء الشباب عندنا فكرة عامة ، تزداد وضوحاً ، وأزداد بها تعلقاً كلما نشر أحدهم مجموعة شعره ، ولقد أتيح لى أن أقرأ عدداً من تلك المجموعات فى الأيام الأخيرة ، فزادتنى يقيناً بأن الشعر فى مصر يسير الآن لى غير قصد ، أو بعبارة أخرى لم تنشأ بعد عندنا فى الشعر « مدرسة » لها لونها ، ولها غايتها ، ولها سبلها المختلفة التى تنتهى بها الى تلك الغاية . وعلة ذلك أن شعراءنا إلا أقلهم مقلدون ، وقل أن تلمح لأحدهم أصالة أو تتبين له وجهة ، وكأنى بالشاب منهم يتناول القلم والورق ، ويجلس لينظم ، لا لأن قلبه يخفق بمعنى يريد أن يفصح عنه ، بل لأن شهوة النشر تملك زمامه ، والرغبة فى المحاكاة تصرفه فى ذلك عن الصواب ، فى نفسه بقية مما قرأ ولم يحسن فهمه من المسائل ، فهو يتطلع الى التجديد والغموض والرمز والبحث عن المجهول والتشاؤم ، وما سوى ذلك من معان يرددها دون أن يدرى كنهها أو المقصود منها ، وليت شعرى ، كيف نسمى انتاجا كهذا شعراً ؟ وهل كان الشعر إلا الاحساس القوى ثم الافصاح عنه فى صورة تلائم الفن وترضى الذوق ؟

وانك لتلتمس الدليل على ما أقول فى هذا الديوان المسمى بالشاطئ المجهول ، فانى على الرغم من عثورى فيه على بعض قطع أبهجتنى قراءتها ، قد عجزت تماماً عن استجلاء مايريد الشاعر بما جاء فى قسمه الأول الذى من أجله سماه بهذا الاسم

بيد أنى أحب أن أبدأ الكلام عن هذا الديوان من الناحية الشكلية ، فقد استوقفتنى فيه ظاهرة أمضتنى بقدر ما تولانى منها الدهش ، ذلك أن الشاعر « سيد قطب » قد مهد لديوانه بمقدمة نقدية بقلم الناقد « سيد قطب » ، وراح فى هذه المقدمة يمتدح نفسه ، ويطنب فى هذا المدح فى صورة يعروني لمجرد الاشارة اليها كثير من الخجل والحياء ! ففى الديوان نظريات علمية وفلسفية ، والشاعر ملم بها ، والشاعر متصل بالعوالم المجهولة ، تربط قواه الروحية بالوحدة الكونية الكبرى ، وللشاعر احساس متيقظ بالزمن ومروره ، ويملأ الشغف بكشف المجهول والحديث عن السر حيزاً كبيراً من ديوانه ، والشاعر فى هذا الديوان يقف موقف المصور فى كثير من القصائد ، وفى الديوان ظاهرة تستحق التسجيل ، ذلك أن لوناً من ألوان الموسيقى يتفشى فيه كله ، كذلك تبدو فى هذا الديوان صورة واضحة للتعبير الدقيق المصور للأفكار الى ماسوى ذلك مما أستحى لذكره من عبارات المدح والاطراء : وتالله لقد ترددت كثيراً أن أصدق أن الشاعر والناقد شخص واحد ، وأكتفى أن أقول له فى احترام : إن مثل هذا إن جاز فى شىء فهو لايجوز فى الأدب وعلى الأخص فى الشعر

وبعد فهل رأيت فى الديوان ما يتفق مع هذه المقدمة ؟ الحق أنى إذا أردت الانصاف مضطر إلى أن أخالفه فى كثير مما قال بل فى معظمه ! فالجزء الأول من ديوانه المسمى « ظلال ورموز » عبارة عن سلسلة من الأفكار الغامضة يشملها جميعاً ذلك التعبير الذى شغف بتكراره الشاعر وهو « الوجوم الكئيب » فتلك الكآبة تخيم على معظم قصائده وعلى الأخص « الشعاع الخابى » و « خراب » و « فى الصحراء » حيث « يطل الليل كالشيخ الكئيب » و « فى خريف الحياة » ، و « غريب » . وليتنا نخرج بشىء من هذه الكآبة أو نتبين فيها شيئاً من فلسفة الحياة جديراً حقاً بهذا الاسم ، ولست أدرى لم اضطلع الشاعر هنا ببعض الموضوعات « كالانسان الأخير » و « الشاعر فى وادى الموت » ،

(١) مقدمة الكتاب (٢) نشرناه (بالرسالة) فى عدد سابق

وهو لم يخرج منها بطائل ، بله العجز عن التصور والتعبير فى مثل هذه المواقف الغريبة !

أما بقية ديوانه فيشتمل على بعض قصائد ريفية ، وقصائد غزلية ، وقصائد وطنية ، هى فى الجملة جيدة ، تحس أنها صادرة حقاً عن القلب ، فليس فيها من التكلف والتعمل والتقليد مثل ما فى سابقتها ؛ ولقد أعجبتني بنوع خاص قصائده « توارد خواطر » و « سر انتصار الحياة » و « المعجزة » و « الليلات البعوثة » وطربت لها كثيراً . ولو نظر الشاعر أو الناقد سيد قطب مى نظرة حق لفهم السر فى نجاحه فى تلك القصائد التى يستحق من أجلها أطيب الثناء ، ولولا هنات فى بعض تعبيراته لعدت هذه من عيون الشعر

والشاعر فى قصائده الحديثة أقوى على التعبير وأساس عبارة منه فى قصائده القديمة ، ولقد لاحظت عليه أنه كجمهرة شعراء الشباب مغرم ببعض الصور الغريبة ، لا يتحرج فى كثير من تعبيراته ، ولا يتوخى فيها البلاغة والسير على مألوف التشبيه والاستعارة ، وإلا فكيف يتفق مع الذوق مثل قوله « يدوى حوله صمت الفناء » والكون « مفقود القطين » و « الهول الواجم » و « الرعب الحائم » و « الفناء الجاثم » و « ركام الفناء » و « شخوص الوهم » و « الحياء الوديع » و « الخشوع الوقور » و « العيلم المسجور » و « الصرخة المتلوية » و « الصمت فى ظل الوجوم » و « وقف الكون شاخصاً فى سكون » و « الذهول الشريد » و « القنوط العقيم » و « الدلال الشرود » و « الرشاد الرزين » و « الفتور الشغوف » وغير ذلك من الصور الذهنية الغريبة وهى مع الأسف كثيرة فى الديوان

هذا إلى أنه قليل العناية بانتقاء اللفظ وتجويد القوافى ، وأنا على يقين بأنى حين أصارحه بهذا أحسن اليه ؛ فواجبنا جميعاً أن نتضافر على رفع مستوى الشعر بعد أن نحدده ونتبين وجهته ، ولا سبيل لنا إلى ذلك إلا إذا توخينا الصراحة والصدق والاخلاص فى كل ما نقول

الخفيف

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧

تحرير الحافظين الجليلين : العراقي وابن حجر

جمع فيه الزيادات على كتب السنن الستة من أعظم المعاجم والمسانيد : المعاجم الثلاثة للطبرانى ، ومسانيد الامام أحمد وأبى يعلى الموصلى والبزار وغيرها ، وتكلم على الأحاديث ورواتها . فهو مع الكتب الستة كدائرة معارف للسنون النبوية ، وهو فى عشرة أجزاء ، ثمنه جنيه وربع

(يطلب من مكتبة القدسى باب الخلق : حارة الجداوى)

الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة

مؤلفات ابن قتيبة تعلم الأسلوب البليغ أولاً ، والتحقيق العلمى ثانياً (ثمنه ٤ قروش صاغ ويطلب من المكتبة المذكورة)